قصة إبراهيم -عليه السلام- في سورتي هود والحج

(دراسة أسلوبية)

دكتورة/ جميلة بنت سعيد بن علي القحطاني

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

قسم اللغة العربية - كلية العلوم والآداب بسراة عبيدة

جامعة الملك خالد

المملكة العربية السعودية

الملخَّص:

تتبعتُ في هذا البحث سمات الألفاظ ودقة اختيارها في سورتي هود والحج، وسلطتُ الضوء على الإعجاز القرآني فيها ومناسبة اللفظة في موضوعها، فقد ذَكر القرآن قصة إبراهيم عليه السلام في سور متعددة، و هي أطول قصة قرآنية بعد قصة سيدنا موسى عليه السلام، وما سأتناوله بالبحث هو موضع ذِكرِها في السورتين، وقد تطرقتُ إلى الإعجاز البياني، والبلاغة القرآنية من خلال مواطن الاتفاق والاختلاف الموضوعية والأسلوبية في تلك القصة في السورتين، ثم ختمتُ البحث بجملة من النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: قصة إبراهيم عليه السلام- سورة هود- سورة الحج-الاتفاق-الاختلاف-الموضوعية- الأسلوبية.

Summary:

In this research, I tracked the features of the words and the accuracy of their selection in Surat Hud and Al-Hajj, and shed light on the Quranic miracle in them and the appropriateness of the word in its subject matter ، .The Qur'an mentioned the story of Abraham, peace be upon him, in several chapters, and it is the longest Qur'anic story after the story of our master Moses, peace be upon him ، .And what I will discuss with the research is the place mentioned in the two Surahs ، I have touched on the rhetorical miraculousness and the Quranic eloquence through the points of agreement and the objective and stylistic differences in that story in the two Surah ، Then I concluded the research with a number of results and recommendations.

Keywords: the story of Abraham, peace be upon him - Surat Hud - Surat Al Hajj - agreement - difference - objectivity – stylistics

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين الذي علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصّلاة والسّلام على نبيه الطاهر الأمين، وبعد:

فلما للقصة القرآنية من مكانة عالية في القرآن الكريم، ولما لها من شأن ودور في الدعوة للإسلام، والتعرف على الأمم السابقة، ولما لها من دور في بيان أصول الدين المشتركة بين جميع الأنبياء من الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان بالبعث والجزاء، فقد ذُكرت في القرآن، وهي من أهم الأساليب التي تحمل الرسالة الخالدة للإنسانية، ولما لها من دور في الكشف في إظهار البلاغة القرآنية، والإعجاز البياني، وقد اشتمل القرآن على الكثير من وقائع الماضي، ولما لها من أثر في التأثير في النفس البشرية، فقد آثرت أن يكون بحثي هذا في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، مجلية الجوانب الجمالية والأسلوبية والبلاغية.

واختارت الباحثة المنهج الوصفي الأسلوبي كونه وسيلة نستطيع من خلالها الوصول إلى عمق النص القرآني بما يحمله من إمكانيات دراسية تحليلية عميقة، نستطيع من خلالها رصد جماليات النص، معتمدين على الآيات القرآنية وألفاظها مبينين أسرار الإعجاز القرآني في القصة ومعللين اقتصار المواضع على ماورد فيها وعلاقتها بمقصود الصورة، ومناسبة مجيئها.

وأما أهم الأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع فأمور، أبرزها

-منزلة البلاغة القرآنية، والدعوة إلى تذوق القصة القرآنية، وإبراز إعجاز القرآن البياني، وذلك من خلال دراسة قصة سيدنا إبراهيم عليه السّلام.

ولم أقف على دراسة سابقة مشابهة لهذه الدراسة الأسلوبية التي تتعلق بقصة النبي إبراهيم عليه السلام، على حد علمي.

وقد انتظم البحث في مقدمة، وخمسة محاور هي:

- بيان مواضع الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في كل موضع من السورتين.
- بيان مواضع الاختلاف الموضوعية والأسلوبية في كل موضع من السورتين.
- تعليل اختصاص كل موضع بما ورد فيه.
- تعليل اقتصار الموضع على ما ورد فيه وعلاقته بمقصود السورة.
- بيان علاقة ماورد من الاتفاق في السورتين في القصة وصلته بمقصود السورتين.

وانتهى البحث إلى خاتمة تتضمن جملة من النتائج، والتوصيات.

• قال الله تعالى في سورة هود عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠)وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ(٧١)قَالَتْ يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ(٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤)إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥)يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[1].

• قال الله تعالى في سورة الحج:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[2].

بيان مواضع الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في كل موضع:

يختلف الموضع الأول عن الموضع الثاني، فلا يوجد بين الموضعين مواطن اتفاق موضوعية.

ومن مواضع الاتفاق **الأسلوبية**[3]:

• الواو العاطفة في بداية كل موضع، وقد كانت في الموضع الأول عطف قصة على قصة[4]، وفي الموضع الثاني، عطف على جملة" ومن يرد فيه بإلحاد بظلم"، أيضا

---

١ سورة هود، من الآية(٦٩) إلى(٦٧).

٢ سورة الحج، من الآية(٢٦)إلى(٢٨).

٣ الأسلوب: هو الوسيلة التي تكشف عما يريد الأديب إيصاله إلى القارئ، وبهذا لا يكون الأسلوب مجموعة الطرائق أو الشكل الخارجي فحسب بل هو خصائص المعالجة الفنية، وعلى ذلك الأسلوبية هو وصف لغوي للنصوص الأدبية يخلص بالنهاية ومن خلال التحليل للسمات اللغوية في النص الأدبي إلى تأكيد على المنهج الأسلوبي في استيفاء الصورة بكل ما تحمله من دلالات متنوعة، ينظر: جيروبيير، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص٩، وينظر: تشيتشرين ، آ.ف ، الأفكار والأسلوب، ترجمة: د. حياة شرارة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م، ص٣١٦، وينظر: عياد، شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار المريخ، ط١، الرياض، ١٩٨٢م، ص٧٨.

وهي الخصائص المتعلقة بأسلوب السورة سواء من حيث جرس ألفاظها، أو نسق فواصلها، أو من حيث تكرار عبارات معينة فيها، إلى غير ذلك من الظواهر المتنوعة، ينظر: العجلان، سامي بن عبد العزيز، الوحدة السياقية في الدراسات القرآنية، في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، دراسة بلاغية في التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م، ص ١٤٣.

٤ ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، د.ن، د.م، د.ت، د.ط، ١١/ ١١٥.

عطف قصة على قصة[١]، كذلك استخدم العطف في الموضع الأول في قوله تعالى: "ومن وراء إسحاق يعقوب"[٢]، كذلك استخدم العطف في الموضع الثاني في قوله تعالى: "وأذن" "وطهر".

• مجيء الأمر في الموضع الأول ومثاله: "لا تخف"، "أعرض"، وفي الموضع الثاني، ومثاله: " لا تشرك" و"طهر" و" أذن".

• ومن المواضع الأسلوبية المتفقة، و اتفاق الفاصلة[٣] القرآنية، مردود، في نهاية الآية (٧٦)، من الموضع الأول، و السجود في نهاية الآية (٢٦) من الموضع الثاني، على حرف الواو و الدال، ونوع الفاصلة هنا مطرفة أو معطوفة[٤].

تحديد مواضع الاختلاف الموضوعية والأسلوبية في كل موضع:

الموضوعية:

• يختص الموضع الأول بالبشارة[٥]، فتتحدث الآيات عن الرسل الذين جاءوا إبراهيم بالبشرى[٦]، وقد اتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى**﴾.

• أما الموضع الثاني فكان إشارة إلى أمر تطهير البيت للطائفين والعاكفين[٧]، فحدثنا هذا الموضع عن إكرام الله إبراهيم عليه السلام فبوأ له مكان البيت، وأمره أن يعبده وحده، وأن يطهر بيته للطائفين والقائمين والركع السجود، وأن يؤذن في الناس بالحج[٨]، ويمكننا القول بأن هذا الموضع يختص بالبيت الحرام من قصة إبراهيم عليه السلام[٩]،

---

١ نفسه ، ٢٢٠/١٧.

٢ نفسه، ١١/ ١١٩.

٣ الفاصلة هي الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن الكريم،وهي حروف متشابكة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، إذ يتم بها المعنى ويزداد وضوحا وقوة وجلاء بما تستريح إليه النفس،وللفاصلة عدد من حيث الروي أو الوزن أو طول القرينة، أو طول الفقرة، أومن حيث موقع الفاصلة، أو مقدارها من الآية أو مدى تكرارها، ينظر: الحسناوي، محمد، الفاصلة في القرآن، دار عمار ، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ -٢٠٠٠م، ص ١٤٥، وينظر: الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ، ١٩٧٢م، ص ٩٧.

٤ والفاصلة أقسام من حيث توافر الوزن وعدمه، ومن حيث اجتماع الوزن مع عنصر آخر، أو انفراده، فهناك المطرف أو المعطوف: وهو ما اتفق في حروف الروي لا في الوزن،ينظر: الحسناوي، محمد ، الفاصلة في القرآن، ص ١٤٩.

٥ ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبدالقادر أحمد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٤٠١عـ - ١٩٨١م ، ص ٦٧,وينظر: الحمصي، أحمدفائز ، قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٥٥م، جـ٢/ص١١.

٦ ينظر: عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص٢٨٣، وينظر: الشحات، محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطبعة الأمانة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩١م ، ص ٢٧٣.

٧ الحمصي، أحمدفائز،قصص الرحمن في ظلال القرآن، جـ ٢/ ١٢.

٨ ينظر، عباس، فضل حسن، قصص القرآن، ص ٣١٥.

٩ ينظر: الشحات، محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص ٤١٣.

ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾.

- الأسلوبية:

أولا في سورة هود:

دخلت (**قد**) هاهنا لأن السامع لقصص الأنبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة؛ وذلك لأنه ورد قصص للأنبياء قبل موضع قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد للتوقع، ودخلت اللام في لقد لتأكيد الخبر، ولفظ (**رسلنا**)، جمع، وأقله ثلاثة فهذا يفيد القطع بحصول ثلاثة، أما الزائد، على هذا العدد فلا سبيل إلى إثباته، إلا بدليل آخر[١]، و(**قد**)، هنا للاهتمام[٢].

وبشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام، بالولد، وبالخلة، وبإنجاء لوط ومن آمن معه[٣]، (**بالبشرى**)، وقد اختلف بالمراد بالبشرى على وجهين، الأول: أن المراد بالبشرى ما بشره الله بعد ذلك بقوله: " **فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب**"، والثاني: أن المراد منه أنه بشر إبراهيم عليه السلام بسلامة لوط وبإهلاك قومه[٤].

ولا يفصح السياق عن هذه البشرى إلا في موعدها المناسب بحضور امرأة إبراهيم، والرسل: الملائكة، وهم هاهنا مجهولون[٥].

و(**وقالوا سلاما**) تنصب (سلاما)، على اضمار الفعل، أي سلمنا عليك سلاما عظيما، (**قال سلام**) أي ثابت دائم عليكم لا زوال له أبدا[٦]، قالوا حياهم إبراهيم عليه السلام بأحسن من تحيتهم، لأن تحيتهم وردت جملة فعلية، تفيد التجدد، وتحيته وردت جملة أسمية تفيد الدوام والثبوت، فهي أبلغ من تحيتهم، فكان الجواب أحسن، ومعناه: السلامة مما يضر، وهو أمان لهم[٧].

---

١ ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، د.ت، ١٨/ ٢٢-٢٣.وينظر: البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب السور، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م، ٩/ص ٣٢٩.

٢ ينظر: ابن عاشور،١١/ ١١٥.

٣ ينظر: أبو حيان، التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط وبهامشه تفسيران جليلان أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان، وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الإمام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبدالقادر بن أحمد بن مكتوم القيسي مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص ٢١٤.

٤ ينظر: الفخر الرازي، ١٨/ ٢٣. وينظر: أبو السعود، ٦٧/٣.

٥ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، د.م، د.ت، المجلد الرابع،ج ١٢-١٨/ ص١٩١١.

٦ ينظر: الفخر الرازي، ١٨/ ٢٣.و ابن حيان، ص ٢١٤ ،وابن عاشور، ١١٦/١١.

٧ ينظر: حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر بيروت،د.ط، د.ت، ١١٣/٥.

ثم قال تعالى: " **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ**": فما لبث تدل على التعقيب إسراعا في إكرام الضيف، وتعجيل القرى سنّة عربية، واللبث في المكان يقتضي الانتقال عنه، أي فما تأخر، والحنيذ هو الطعام المشوي وهو أسرع من الطبخ، وهو أعون على تعجيل إحضار الطعام للضيف، وكان مال إبراهيم هو البقر، فقد أحسن ما فيه، وهو العجل[1].

وقال تعالى: " **فلما رآى أيديهم لا تصل إليه نكرهم**"، أي إلى العجل، وقوله: (لا تصل) أشد في عدم الأخذ من (لا تتناوله)، فالأضياف إنما امتنعوا عن من الطعام، لأنهم ملائكة، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وإنما أتوه في صورة الأضياف، ليكونوا على الصفة التي يحبها، وهو كان مشغوفا بالضيافة، عقب قوله نكرهم، بـــ (**أوجس منهم خفيفة**): أي أحس في نفسه خيفة منهم، وأضمر ذلك ، ومصدره الإيجاس، وذلك أنه خشي أن يضمروا له شرا، واشتدت نكارته لهم[2].

وقال تعالى: "**قالوا لا تخف**" ، مفصولة عما قبلها، لأنها أشبهت الجواب؛ لأنه لما أوجس منهم خيفة ظهر أثرها على ملامحة، فكان ظهور أثرها بمنزلة قوله: إني خفت، ولذلك أجابوا ما في نفسه بقولهم:" لا تخف"، فحكى ذلك عنهم بالطريقة التي تحكى بها المحاورات، أو هو جواب كلام مقدر، وقال:" **إنا أرسلنا إلى قوم لوط**"، مكاشفة منهم إياه بأنهم ملائكة، والجملة استئناف مبينة لسبب مجيئهم، والحكمة من ذلك كرامة إبراهيم، وحذف متعلق (أرسلنا)، أي بأي شيْ إيجاز لظهوره من هذه القصة وغيرها، وعبر عن الأقوام بطريق الإضافة، (قوم لوط)، إذ لم يكن لأولئك الأقوام اسم يجمعهم ولا يرجعون إلى نسب بل كانوا خليطا من فصائل عرفوا بأسماء قراهم[3].

- الحوار:

وقوله تعالى: " **وامرأته قائمة فضحكت**" ، جملة في موضع الحال من ضمير أوجس؛ لأن امرأة إبراهيم عليه السلام، كانت حاضرة تقدم الطعام إليهم، فإن عادتهم كعادة العرب من بعدهم أن ربة المنزل تكون خادمة القوم، وقد اختصرت القصة هنا اختصارا بديعا، لوقوعها في الحوار بين الرسل وإبراهيم، عليه السلام[4].وقيل أن قوله تعالى:

---

١ ينظر: أبو حيان، ٢٤١، وابن عاشور، ١١/ ١١٧.

٢ ينظر: الفخر الرازي، ١٨/ ٢٤، وأبوحيان، ص ٢٤٢، والبقاعي، ٩/ ٣٣٠، وأبو السعود، ٣/ ٦٨، وابن عاشور، ١١/ ١١٧-١١٨.

٣ ينظر: الفخر الرازي، ١٨/ ٢٥، وينظر:أبو حيان، ص٢٤٢، و البقاعي، ٩/ ٣٣٠، وأبو السعود، ٣/٦٨-٦٩، وابن عاشور، ١١/ ١١٨.

٤ ينظر: ابن عاشور، ١١/ ١١٨-١١٩.

(وامرأته قائمة)، من وراء الستر، بحيث تسمع محاورته[١]، وقال ابن حيان في ذلك: وامرأته هي سارة بنت هاران بن ناخور وهي ابنة عمه قائمة أي لخدمة الاضياف، وكانت نساؤهم لا تحتجب كعادة الأعراب، ونازلة البوادي، والصحراء، ولم يكن التبرج مكروها وكانت عجوزا وخدمة الضيفان مما يعد من مكارم الأخلاق[٢].

(فضحكت): قيل فيه هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة أخيها وهلاك قومه، يقال أتيت على روضة تضحك، أي مشرقة، وقيل هو حقيقة[٣]، وقال البقاعي: أي تعجبت من تلك البشرى لزوجها مع كبره، وربما ظنته من غيرها لأنها كانت عقيما، لكبر سنها، فو إطلاق المسبب على السبب، إشارة إلى أنه تعجب عظيم[٤]،وقيل بوقوع الأمر حسبما كانت تقول فيما سلف، فإنها كانت تقول لإبراهيم أضمم إليك لوطا فإني أرى العذاب نازل بهؤلاء القوم[٥].

وقال ابن عاشور : "وقد وقع في التوراة في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين ((وقالوا له أين سارة امرأتك؟ فقال: ها هي في الخيمة. فقالوا: يكون لسارة امرأتك ابن، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة، فضحكت سارة في باطنها قائلة: أفبالحقيقة ألدُ وأنا قد شخت؟ فقال الرب: لماذا ضحت سارة، فأنكرت سارة قائلة لم أضحك، لأنها خافت، قال: لا بل ضحكت))"[٦].

وقوله تعالى:" **فبشرناها بإسحاق**" ، هذا موافق لقوله تعالى:" **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى**"، والمعنى فبشرناها على لسان رسلنا بشرتها الملائكة بإسحاق وإن إسحاق سيلد يعقوب، وإنما بشروها لأن المرأة أعجل فرحا بالولد ، ولأنه كان لإبراهيم عليه السلام ولده اسماعيل[٧]، وهي على جملة (ضحكت) باعتبار المعطوف وهو **(ومن وراء إسحاق يعقوب)**، لأنها ما ضحكت إلا بعد أن بشرها الملائكة بابن، فلما تعجبت من ذلك بشروها، بابن الابن زيادة في البشرى، والتعجب بأن يولد لها ابن ويعيش وتعيش هي حتى يولد لابنها ابن، وذلك أدخل في العجب لأن شأن أبناء الشيوخ أن

١ الرازي، ١٨/ ٢٥، وأبي السعود، ٣/ ٦٩.
٢ ينظر: ابن حيان، ص ٢٤٢.
٣ نفسه.
٤ ينظر: البقاعي، ٩/ ٣٣١.
٥ ينظر: أبو السعود، ٣/ ٦٩.
٦ ابن عاشور، ١١/ ١١٩.
٧ ينظر: أبو حيان،ص ٢٤٣.

يكونوا مهزولين لا يعيشون غالبا إلا معلولين، ولا يولد لهم في الأكثر ولأن شأن الشيوخ الذين يولد لهم أن لا يدركوا يفع أولادهم[١]، و(يعقوب) مبتدأ، (ومن وراء اسحاق)خبر، والجملة على هذا في محل الحال، وفصل بين حرف العطف والمعطوف بالظرف[٢].

و قوله تعالى: **(ومن وراء إسحاق يعقوب)** بالنصب على أنه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها، أو ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب، مولود أو موجود، وكلا الاسمين داخل في البشارة[٣].

ولما شافهوها بذلك صرحت بوجه العجب مع أنه جامع بين عجبين في كونه منه، "**قالت يا ويلتي**"، وهنا استئناف، وجملة قالت، جواب للبشارة، وهي كلمة تؤذن بأمر فضيع تخف على أفواه النساء ويستعملنها إلى اليوم، والويل: حلول الشر، والألف في آخره بدل عن ياء الإضافة، كني بها هنا، عن العجب الشديد، فما فيه من الشهرة ومراجمة الظنون، والنداء في (يا ويلتا) استعارة تبعية بتنزيل الويلة منزلة من يعقل حتى تنادى، كأنها تقول: يا ويلتي احضر هاهنا فهذا موضعك، والويلة تستخدم في مقام التعجب[٤].

والاستفهام في قوله تعالى:" **أألد وأنا عجوز** " مستعمل في التعجب، وجملة: "أنا عجوز": في موضع الحال، وهي مناط التعجب[٥]، وهي بنت تسعين أو تسع وتسعين وإبراهيم ابن مائة سنة[٦].

وقوله تعالى: " **وهذا بعلي شيخا**"، وأصل البعل القائم بالأمر، ونصبه على الحال، والعامل معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو الخبر وبعلي بدل من اسم الإشارة، أو بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في أألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله أي أألد وكلانا على حالة منافية لذلك وإنما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام[٧].

---

١ ينظر: ابن عاشور، ١١/ ١١٩.

٢ نفسه، ١١/ ١٢٠.

٣ ينظر: أبو السعود، ٣/ ٦٩.

٤ ينظر: البقاعي، ٩/ ٣٣١.و أبي السعود، ٣/ ٦٩، وابن عاشور، ١١/ ١٢٠.

٥ ينظر : ابن عاشور، ١١/ ١٢٠.

٦ ينظر: ابن حيان، ص ٢٤٣، وأبو السعود، ٣/ ٦٩.

٧ ينظر: أبي السعود، ٣/ ٦٩-٧٠.

وزادت تقرير التعجب بجملة" **إن هذا لشيء عجيب**"، وهي جملة مؤكدة لصيغة التعجب فلذلك فصلت عن التي قبلها لكمال الاتصال، وكأنها كانت مترددة في أنهم ملائكة فلم تطمئن لتحقيق بشراهم [1].

فقيل: (**قالوا أتعجبين من أمر الله**)، أي الملائكة، متعجبين من تعجبها، والعجب إنما يكون مما خرج عن أشكاله وخفي سببه، وأنت لثبات علمك بالسبب الذي هو قدرة الله على كل شي وحضوره لديك مع اصطفاه الله لكم وتكرر خرقه للعوائد في شؤنكم لست كغيرك ممن ليس كذلك، فتعجبوا وقالوا أتعجبين من قدرته تعالى وحكمته أو تكوينه، أو شأنه أنكروا عليها تعجبها من ذلك لأنها كانت ناشئة في بيت النبوة مهبط الوحي، والآيات ومظهر المعجزة والأمور الخارقة للعادات فكان حقها أن تتوفر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء، من أمثال الخوارق من ألطاف الله تعالى الخفية، ولطائف صنعه الفائضة، على كلا أحد مما يتعلق بذلك مشيئته الأزلية لا سيما على أهل بيت النبوة الذين ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وأن تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده[2].

ثم عللوا انكارها لتعجبها بقولهم: **(رحمت الله)**، أي كرامة الذي له الإحاطة بصفات الجلال والإكرام، و(**بركاته**)، أي خيراته النامية الثابتة،(**عليكم**)، وبينوا خصوصيتهم بإسقاط أداة النداء ووجه التعليل نفي العجب، فقولهم: (**رحمة الله وبركاته عليكم**) تعليل لإنكار تعجبهم،(**أهل البيت**)، فانه مدح لهم فهو نصب على النداء أو على الاختصاص ، وتعريف أهل البيت تعريف حضور، وهو البيت الحاضر بينهم الذي جرى فيه هذا التحاور، أي بيت إبراهيم، ثم أكدوا ذلك بقولهم، (**إنه حميد مجيد**)، والحميد هو المحمود وهو الذي تحمد أفعاله، والمجيد الماجد، وهو ذو الشرف والكرم، وفي اختيار وصف الحميد من بين الأسماء الحسنى كناية عن رضى الله تعالى على إبراهيم عليه السلام وأهله[3].

١ينظر: ابن عاشور، ١١/ ١٢١.

٢ ينظر: أبو السعود، ٣/ ٧٠.

٣ ينظر: الرازي، ١٨/ ٢٨, والبقاعي، ٣٣٣/٣، وابن عاشور، ١١/ ١٢٢.

- جدال إبراهيم عن قوم لوط:

في قوله تعالى:" **ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى**"، هنا تعريف في لفظة (الروع)، وفي البشرى قبلها، تعريف العهد الذكري، وهما المذكوران آنفا، والروع: مرادف الخيفة، وهي تعني ما أوجس منهم من خيفة، وأطمأن قلبه بعرفانه وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض أحوال إبراهيم عليه السلام ببعض، (وجاءته البشرى)، تبشيره بالولد، أو بأن المراد بمجيئهم غيره وجواب (لما) محذوف[١].

و(**يجادلنا**): جواب (لما)، صيغ بصيغة المضارع لاستحضار الحالة العجيبة[٢]، وقيل الجواب: يجادلنا، وضع المضارع موضع الماضي أي جادلنا وجاز ذلك لوضوح المعنى وهذا أقرب الأقوال، وقيل يجادلنا: حال من إبراهيم وجاءته حال أيضا، أو من ضمير في جاءته ، وقيل تكلما على سبيل الشفاعة، والمعنى تجادل رسلنا، وقيل تكلما على سبيل الشفاعة، والمعنى تجادل رسلنا[٣]،" وعن حذيفة أنهم قالوا أنا مهلكوا أهل هذه القرية، قال أرأيتم أن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم، قالوا: لا، قال: فأربعون، قالوا: لا، قال: فثلاثون، قالوا: لا، قال: فعشرون، قالوا: لا، قال: فإن كان فيهم عشرة أو خمسة شك الراوي، قالوا: لا، قال: أرأيتم أن كان فيها رجل واحد من المسلمين أتهلكونها قالوا لا، فعند ذلك قال أن فيها لوطا، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله وكان ذلك من إبراهيم حرصا على إيمان قوم لوط، ونجاتهم، وكان في القرية أربعة الآف إنسان"[٤] .

وقوله: " **في قوم لوط**": على تقدير مضاف، أي في عقاب قوم لوط، وهذا من تعليق الحكم باسم الذات، والمراد حال من أحوالها يعينه المقام، والمجادلة هنا: هي دعاء ومناجاة سأل بها إبراهيم-عليه السلام- ربه العفو عن قوم لوط، خشية إهلاك المؤمنين[٥].

وقوله تعالى: " **إن إبراهيم لحليم أواه منيب**"، وهذا مدح عظيم لإبراهيم[٦]، الحليم الموصوف بالحلم، وهي صفة تقتضي الصفح واحتمال الأذى، و(الأواه)، أصله الذي يكثر التأوه، وهو قول: أوّه، وأوه اسم فعل نائب مناب أتوجع، وهو هنا كناية عن شدة اهتمامه بهموم الناس، و(المنيب): من أناب إذا رجع، وهو مشتق من النوب وهو

---

١ ينظر: الرازي، ١٨/ ٢٩، و ابن حيان، ص ٢٤٥، والبقاعي، ٩/ ٣٣٣، وأبو السعود، ٣/ ٧١، وابن عاشور، ١٢٣/١١.

٢ ينظر: ابن عاشور، ١١/ ١٢٣.

٣ ينظر: ابن حيان، ٢٤٥، وابن عاشور، ٣/ ٧١.

٤ ابن حيان، ص ٢٤٥.

٥ ينظر: ابن عاشور، ١١/ ١٢٣.

٦ ينظر: الرازي، ١٨/ ٣٠.

النزول، والمراد التوبة من التقصير، أي محاسبة نفسه، وحقيقة الإنابة الرجوع إلى الشيء بعد تركه [١].

وجملة: "**يا إبراهيم أعرض عن هذا**"، مقول محذوف دل عليه المقام، وهو من بديع الإيجاز، وهو وحي من الله إلى إبراهيم، عليه السلام، أو جواب الملائكة إبراهيم، عليه السلام، فإذا كان من كلام الله فقوله (**أمر ربك**)، إظهار في مقام الإضمار، لإدخال الروع في ضمير السامع، و(أمر الله)، أي أمر تكونيه[٢]، وفي التعبير بالأمر اشارة إلى أنه واجب النفاذ ولا راد له، وما في لفظ (ربك)، من معنى التربية والرعاية يشير إلى أن أمره بالإعراض لا ينافي رحمته به ورعايته له، وفي إضافة ضميره إلى الرب تشريف له، وإشارة إلى ما يعرفه من صفات ربه الرحيم بعباده[٣].

وقوله تعالى: "**وأنه آتيهم عذاب غير مردود**" معطوف على سابقة والوصل التوسط بين الكمالين، حيث اتحدت الجملتان في الخبرية مع التناسب وقد أكدت الجملة لتقوية مضمونها، وفي تنكير(عذاب)، إشارة إلى فخامته وشدته وكونه عذابا من نوع خاص غير معهود، وفي وصفه بـــ(غير مردود)، بيان لحتميته ونفاذه لامحالة، وأنه لا يرد بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما[٤].

وقد تضمنت القصة الأفعال الماضية مثل: "جاء"، "قالوا"، "قال"، "لبث"، "جاء"، "رأى"، "نكر"، "أوجس"، "قالوا"، "ضحكت"، "بشر"، "قالت"، "ذهب"، "جـــاءت"، جـــاء، والأفعـــال المضارعة، مثل: "تصل"، "أرسلنا"، "تعجبين"، "يجادل"، وأفعال الأمر مثل: "لا تخـــف"، "أعرض"، ومن أوجه التشابه بين الموضعين مجيء الفعل الأمر[٥]، وقـــد جـــاءت زمنيـــة الأفعال موضحة أحداث القصة لتصل للغاية من ذكر هذه الأحـــداث ولتحـــصل العظـــة والعبرة.

وجاءت الفاصلة هنا متنوعة، غير مشابهة الموضع الثاني، ومثالها: " حنيذ" و" لوط" ، "يعقوب"، "عجيب"، "منيب"، وقد تكررت فاصلة لوط مرتين، وحرف الباء ثلاث مرات، وعجيب ومنيب وهي من المتوازي[٦]، وهي من السمات الصوتية ويتولد هذا المستوى

---

١ ينظر: البقاعي، ٩/ ٣٣٣ ،وابن عاشور، ١١/ ١٢٣.

٢ ينظر: ابن عاشور، ١١/ ١٢٤.

٣ ينظر: الشحات، ' محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم، ص٢٢٨.

٤ ينظر: الشحات، ' محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم،، ص ٢٨٩.

٥ ورد ذلك في الصفحة ٢.

٦ ينظر: الحسناوي،محمد، الفاصلة في القرآن، ص ١٤٩.

الصوتي من خلال إيقاع الجرس اللفظي وإيقاع الصيغة التكرارية[1].وقد جاءت الفاصلة القرآنية في المقطع فأعطت السمة الإيقاعية، مما جعله وقعها جميلا ومحببا من خلال سرد أحداث القصة.

ثانيا في سورة الحج:

تشريف:

وفي قوله تعالى: "**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت**"، هنا عطف قصة على قصة سابقة في نفس السورة، ويعلم منها تحليل الجملة المعطوفة عليها بأن الملحد في المسجد الحرام قد خالف بإلحاده فيه ما أراده الله من تطهيره، حين أمر ببنائه، والتخلص من ذلك إلى إثبات ظلم المشركين وكفرهم نعمة الله في تشريع الحج، وإقامة المسجد الحرام، وإذ: اسم زمان مجرد عن الظرفية فهو منصوب، بفعل مقدر على ما هو متعارف في أمثاله، والتقدير وأذكر إذ بوأنا، والتبوئة: الإسكان، والمكان الساحة من الأرض وموضع للكون فيه، وهو فعل مشتق من الكون، واللام في ((لإبراهيم)) لام العلة، لأن إبراهيم مفعول أول ل(بوأنا)، الذي هو من باب أعطى، فاللام مثلها في قولهم: شكرت لك ، أي شكرت لأجلك، و(البيت) معهود عند نزول القرآن فلذلك عرف بلام العهد ولولا هذه النكتة لكان ذكر مكان حشو، والمقصود أن يكون مأوى للدين أي معهدا لإقامة شعائر الله[2].

تكليف:

وقوله : " **أن لاتشرك بي شيئا**" مفسرة لبوأنا، من حيث أنها متضمنة لمعنى تعبدنا لأن التبوئة للعبادة، أو مصدرية موصولة بالنهي[3]، وابتدأ هنا بأس العبادة ورأسها [4]، فكان يتضمن بوجه الإجمال أن يترقب تعليما بالدين لذلك أعقب بجرف (أن)، التفسيرية، التي تقع بعد جملة فيها معنى القول، دون حروفه، وكان أصل الدين هو نفي الإشراك بالله فعلم أن البيت جعل معلما للتوحيد بحيث يشترط على الداخل أن لا يكون مشركا، فكانت الكعبة لذلك أول بيت وضع للناس[5]، وقدم النهي على الأمر هنا لأن النهي موجه إلى إبراهيم عليه السلام، والأمر سيفعله من أجل الآخرين، ولأن النهي كف عن فعل

١ ينظر: عياد، شكري محمد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، د.ط، ١٩٨٥، ص ٩٦.

٢ ينظر: ابن عاشور،١٧/ ٢٤٠-٢٤١.

٣ ينظر: أبوالسعود، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، تصحيح: الشيخ حسن المسعودي، الحسينية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ - ١٩٨٢م، ٤/ ١١.

٤ ينظر: البقاعي، ١٣/ ٣٦.

٥ ينظر: ابن عاشور، ١٧/ ٢٤١.

محبط للعمل، و(بي) : تشعر بالوحدانية، والنون في (بوأنا)، تشعر بالتعظيم، وهذا من تلوين الأسلوب على حسب المعاني والأحوال، ففي مقام التعظيم جيء بنون العظمة، وفي مقام التوحيد جيء بياء الوحدة، ولفظ(شيء)، يفيد العموم بمادته، وهيئته لمنكره، وموقعه في سياق النهي، أي لا تشرك بي شيئا من الأشياء كائنا ما كان ومن أي جنس كان[١].

وقوله: " **وطهر بيتي**"، مؤذن بكلام مقدر دل عليه (بوأنا لإبراهيم مكان البيت)، والمعنى: أمرناه ببناء البيت في ذلك المكان، وبعد أن بناه قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي، وإضافة البيت إلى ضمير الجلاله تشريف للبيت، والتطهير: تنزيه عن كل خبيث، معنى كالشرك والفواحش وظلم الناس، وبث الخصال الذميمة، وحسا من الأقذار، أي أعده للطائفين والقائمين[٢].

وقوله:" **للطائفين والقائمين والركع السجود**"، أي وطهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء[٣]، والطواف هو المشي حول الكعبة، وهو عبادة قديمة من زمن إبراهيم قررها الإسلام وقد كان أهل الجاهلية يطوفون حول أصنامهم كما يطوفون بالكعبة، والمراد (القائمين): الداعون تجاه الكعبة، ومنه سمي مقام إبراهيم، وهو مكان قيامه للدعاء فكان الملتزم موضعا للدعاء، و(الركع) جمع، و (السجود) جمع[٤].

وقوله تعالى: "**وأذن في الناس بالحج**" عطف على (وطهر بيتي) وفيه إشارة إلى أن من إكرام الزائر تنظيف المنزل، وأن ذلك يكون قبل نزول الزائر بالمكان، وأذن: أي ناد فيهم، والتأذين رفع الصوت بالإعلام بالشيء، وأصله مضاعف أذن بمعنى أخبر، وأذن بما فيه من مضاعفة الحروف مشعر بتكرير الفعل، أي أكثر الإخبار بالشيء، والكثرة تحصل بالتكرار وبرفع الصوت، القائم مقام التكرار، ولكونه بمعنى الإخبار يعدى إلى مفعول الثاني بالباء[٥].

---

١ ينظر: الشحات، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص٤١٥_٤١٦.

٢ ينظر: ابن عاشور، ١٧/ ٢٤١.

٣ ينظر: أبو السعود، ٤/ ١١.

٤ ينظر: ابن عاشور، ١٧/ ٢٤٢.

٥ ينظر: أبو السعود، ٤/ ١١، وابن عاشور، ١٧/ ٢٤٢.

وتقديم الأمر بتطهير البيت على الأمر بالنداء بالحج لأن إعداد البيت وتجهيزه مقدم على الدعوة لزيارته، كما أن عدم الاشراك يقتضي نبذ مظاهر الشرك من الأوثان، والأصنام، فتطهير البيت عنها متصل بالنهي عن الاشراك بالله تعالى، فناسب ذلك أن يكون عقيبة، والوصل بين الأمر الثاني والأول، وبين الأمر الأول والنهي للتوسط بين الكمالين، حيث اتحدت الجمل الثلاث في الانشائية مع التناسب بينهما، والمقصود بالناس جميع الناس، من كان موجود في عصره أو غير موجود، ولما أمر إبراهيم بأن يؤذن في الناس بالحج مما يثير في نفسه بعض المخاوف من عدم وصول ندائه إلى كافة الناس، أكدت الآية التالية وصوله ببيان إجابة الناس[1].

وقوله تعالى: "**يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**"، وفي تعليق فعل يأتوك بضمير خطاب إبراهيم دلالة على أنه كان يحضر موسم الحج كل علام يبلغ للناس التوحيد وقواعد الحنيفية، وروي أن إبراهيم لما أمره الله بذلك اعتلى جبل أبي قيس وجعل أصبعيه في أذنيه ونادى :(إن الله كتب عليكم الحج فحجوا)، وذلك أقصى استطاعته في امتثال الأمر بالتأذين، وقد كان إبراهيم رحالة فلعله كان ينادي في الناس في كل مكان يحل فيه. وجملة يأتوك جواب للأمر، جعل التأذين سببا للإتيان تحقيقا لتيسير الله الحج على الناس، فدل جواب الأمر على أن الله ضمن له استجابة ندائه[2].

وقوله: (رجالا)، حال من ضمير الجمع في قوله (يأتوك)[3]، ورجالا، أي مشاة على أرجلهم[4]، و(يأتوا) مجزوم في جواب الأمر وإيقاع الإتيان على ضمير على السلام دون أن يقال: يأتوا البيت لكون هو المنادى، وقد أجيب بسرعة[5].

(وعلى كل ضامر) عطف بواو التقسيم ، بمعنى أو كقوله تعالى(ثيبات وأبكارا)، إذ معنى العطف هنا على اعتبار التوزيع بين راجل وراكب، إذ الراكب لا يكون راجلا ولا العكس، والمقصود منه استيعاب أحوال الآتين تحقيقا للوعد بتيسير الإتيان المشار إليه بجعل إتيانهم جوابا للأمر، أي يأتيك من لهم رواحل ومن يمشون على أرجلهم، ولكون هذه الحال أغرب قدم قوله(رجالا)، ثم ذكر بعده و(على كل ضامر) تكملة لتعميم

١ ينظر: الشحات، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص ٤١٦ - ٤١٧.
٢ ينظر: أبو السعود، ٤/ ١١، وابن عاشور، ١٧/ ٢٤٣.
٣ ينظر: ابن عاشور، ١٧/ ٢٤٣.
٤ ينظر: البقاعي، ١٣/ ٣٧ ، وأبو السعود، ٤/ ١١.
٥ ينظر: الشحات، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص٤١٧.

الأحوال، إذ إتيان الناس لا يعدو أحد هذين الوصفين، ورجالا، جمع راجل وهو ضد الراكب[١]، وتقديم الراجلين على الراكبين لكون مجيئهم أدل على الاستجابة، وأقوى في إثبات الطاعة لما في مجيئهم من المشقة الكبيرة التي لم تثنهم عن المجيء إليه[٢].

و(الضامر) قليل لحم البطن، وناقة ضامر أيضا، والضمور من محاسن الرواحل والخيل لأنه يعينها على السير والحركة، وكملة (كل)، مستعملة للكثرة أي رواحل كثيرة، وكلمة (كل) أصلها الدلالة على استغراق جنس ما تضاف إليه ويكثر استعمالها في معنى كثير مما تضاف إليه، ويجوز أن تكون (يأتين) صفة لضامر، لأن لفظ(كل) صيره في معنى الجمع، ويجوز أن تجعل جملة يأتين، حالا ثانية مع ضمير الجمع في يأتوك ، والفج الشق بين جبلين تسير فيه الركاب، لأن أكثر الطرق المؤدية إلى مكة تسلك بين الجبال، والعميق: البعيد، فأطلق البعيد مطلقا بطريقة المجاز المرسل، أو هو استعارة بتشبيه مكة بمكان مرتفع والناس مصعدون إليه، وإسناد الإتيان إلى الرواحل تشريف لها بأن جعلها مشاركة الحجيج في الإتيان إلى البيت[٣].

ومازال وعد الله يتحقق منذ إبراهيم عليه السلام، إلى اليوم والغد، وماتزال أفئدة من الناس تهوي إلى البيت الحرام، وترف إلى رؤيته والطواف به، الغني والفقير، وعشرات الألوف من هؤلاء يتقاطرون من فجاج الأرض البعيدة تلبية لدعوة الله التي أذن بها إبراهيم عليه السلام من آلاف الأعوام[٤].

حكمة التشريع:

الفائدة الأولى: في قوله تعالى: " **ليشهدوا**" متعلق بيأتوك لت بأذن أي ليحضروا" **منافع**"عظيمة الخطر كثيرة العدد، أو نوع من المنافع الدينية والدنيوية[٥]، ونكير(منافع) للتعظيم ، المراد منه الكثرة وهي المصالح الدنيوية والدينية[٦]. والمنافع التي يشهدها الحجيج كثير فالحج موسم ومؤتمر، الحج موسم تجارة وموسم عبادة، والحج مؤتمر تنسيق وتعاون، وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة، أصحاب السلع والتجار يجدون في موسم الحج سوقا رائجة حيث

١ ينظر: ابن عاشور، ٢٤٣/١٧ - ٢٤٤.

٢ ينظر: الشحات، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص٤١٧.

٣ ينظر: ابن عاشور، ١٧/ ٢٤٤_٢٤٥.

٤ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، ص٢٤١٨.

٥ ينظر: ابن السعود، ٤/ ١١.

٦ ينظر: البقاعي، ١٣/ ٣٨، وابن عاشور، ١٧/ ٢٤٦.

تجيء إلى البيت الحرام ثمرات كل شيء، من أطراف الأرض ويقدم الحجيج من كل فج ومن كل قطر، وهو موسم تصفو فيه الأرواح وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام[1].

والفائدة الثانية: " **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**"، والحرف (على) متعلق ب(يذكروا) وهو للاستعلاء المجازي الذي هو بمعنى الملابسة والمصاحبة، على تقدير مضاف، أي عند نحر بهيمة الأنعام أو ذبحها، و(ما) موصولة، و(من بهيمة الأنعام) بيان لمدلول(ما) والمعنى ليذكروا اسم الله على بهيمة الأنعام، وأدمج في هذا الحكم الامتنان بأن الله رزقهم تلك الأنعام، وهذا تعريض بطلب الشكر على هذا الرزق بالإخلاص لله في العبادة وإطعام المحاويج من عباد الله من لحومها، وفي ذلك سد لحاجة الفقراء بتزويدهم ما يكفيهم لعامهم، ولذلك فرع عليه (**فكلوا وأطعموا البائس والفقير**)، فالأمر بالأكل منها يحتمل أن يكون أمر وجوب في شريعة إبراهيم، فيكون الخطاب في قوله (فكلوا)، لإبراهيم ومن معه، وقد عدل عن الغيبة الواقعة في ضمائر (ليشهدوا منافع لهم...الأنعام) إلى الخطاب بذلك في قوله(فكلوا منها وأطعموا البائس) على طريقة الالتفات، أو على تقدير قول محذوف مأمور به إبراهيم عليه السلام، وهذا تعريض بالرد على أهل الجاهلية الذين يمنعون الأكل من الهدايا، ثم عاد الأسلوب إلى الغيبة في قوله: (ثم ليقضوا تفثهم)، و(الأيام المعلومات) أجملت هنا لعدم تعلق الغرض ببيانها إذ غرض الكلام ذكر حج البيت وقد بينت عند التعريض لأعمال الحج عند قوله تعالى: (وأذكروا الله في أيام معلومات)، والبائس الذي أصابه بؤس، وقلت ممن أجل ذلك لم يعطف أحد الوصفين على الآخر لأنه كالبيان له وإنما ذكر البائس مع أن الفقير مغن عنه لترقيق أفئدة الناس على الفقير بتذكيرهم أنه في بؤس لأن وصف فقير لشيوع تداوله على الألسن صار كاللقب غير مشعر بمعنى الحاجة وقد حصل من ذكر الوصفين التأكيد، وذكر الوصفين لقصد استيعاب أحوال المحتاجين والتنبيه إلى البحث عن موقع الامتناع[2].

---

١ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن ، المجلد الرابع، ص ٢٤١٨-٢٤١٩.

٢ ينظر ابن عاشور، ١٧/ ٢٤٦-٢٤٨.

وتقديم البائس لما فيه من شدة تستدعي العطف والإطعام، وتخصيص البائس الفقير بالإطعام للحث على العناية بإطعام هذا الصنف من الناس لشدة حاجتهم إليه وإن كان يجوز إطعام غيرهم كما يرى العلماء[1].

الأفعال في المقطع: الأفعال الماضية: مثل" بوأنا"، والمضارعة مثل:" تشرك"، "يأتوك"، "يأتين"، " يشهدوا"،" يذكروا"، الأفعال الأمر:" أذن"، " طهر"، "فكلوا" و"أطعموا"، ونلاحظ تنوع الأفعال في عرض القصة فالأفعال الماضية تدلنا في السرد القصصي على الأفعال التي حدثت في الزمن الماضي، ثم جاءت الأفعال المضارعة لتتحدث عن حاضر الأحداث، والأمر لتبين الأمور المطلوب والواجب فعلها، فارتبطت الأزمنة هنا وهناك بأحداث القصة، لتوضيح الغاية المقصودة لتحدث بذلك العبرة والغرض من ذكر هذا القصص.

أيضا تنوعت الفاصلة القرآنية هنا، مثل:" عميق"، و" فقير"، وقد جاءت مشكلة إيقاعا صوتيا لا يخلو من الغرض الذي سيقت من أجله.

تعليل اختصاص كل موضع بما ورد فيه:

في سورة هود: ناسب مجيء أحداث القصة المختصة بالبشارة كون السورة مكية[2]، وقد كان الحديث عن قصص الأنبياء السابقين وأممهم تعريفا بهم وتكريما لمؤمنهم وتحذيرا لمشركهم من الخصائص الموضوعية للسور والآيات المكية[3].

في سورة الحج: ناسب مجيء أحداث القصة المختصة بالأمر بتطهير البيت كونها مدنية، لأن العناية بالأحكام والآداب والتوجيهات المنظمة لجميع جوانب الحياة المختلفة عبادية كالصوم والحج والزكاة وما يتصل بالآداب الفردية والجماعية، هي من موضوعات المدني، لأن غالبها في الشريعة، والحج وما يتعلق به من الخصائص الموضوعية للسور المدنية[4].

تعليل اقتصار الموضع على ما ورد فيه وعلاقته بمقصود السورة:

اختص كل موضع بما جاء فيه وفق ترتيب أحداث القصة، فكانت البشارة سابقة على الأمر بتطهير البيت الحرام، وقد أثبت ذلك تسلسل أحداث القصة كما ورد في

---

١ ينظر: الشحات، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، ص٤٢٠.

٢ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ٤/ ص١٨٣٩.

٣ ينظر: الشايع، محمد بن عبدالله، المكي والمدني في القرآن الكريم، د.ن، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٤٢.

٤ نفسه، ص ٥٣.

الكتب[١]، وقد جاءت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة هود القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة[٢]، وقد نزلت سورة هود بعد يونس، فلما كانت سورة يونس عليه السلام قد تضمنت آي التنبيه والتحريك للنظر ومن العظات والتخويف والتهديد والترهيب والترغيب، وتقريع المشركين، والجاحدين والقطع بهم، والإعلام بالجريان على حكم السوابق ووجوب التفويض والتسليم، مالم تشتمل على مثله سورة لتكرر هذه الأغراض فيها وسبب تكرر ذلك فيها، والله أعلم لأنها أعقبت بها السبع الطوال، وكانت سورة الأعراف والأنفال وبراءة ويونس تفصيل ما كان أجمل فيما تقدمها، كما حصل مما تقدم تفصيل أحوال السالكين والمتنكبين، فلما تقرر هذا كله أتبع المجموع بقوله:" كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير"[٣][٤]، وسورة هود وكل السور قبلها تحمل طابع هذه الفترة، وتحدث عن مدى تحدي قريش وتعديها، وآثار هذه الفترة واضحة في جو السورة وظلالها وموضوعاتها ، وبخاصة ما يتعلق بتثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذين معه على الحق، والتسرية عنه مما يساور قلبه من الوحشة والضيق والغربة في المجتمع الجاهلي، فكان عرض مواقف الرسل صلوات الله عليهم وهم يتلقون الإعراض والتكذيب والسخرية والاستهزاء والتهديد بالصبر والثبات، وفي يقينهم بأن نصر الله آت، ثم تصديق العواقب في الدنيا والآخرة لظن الرسل الكرام بوليهم القادر العظيم بالتدمير على المكذبين، فجاءت تسرية عن الرسول[٥]، ثم يلم السياق في مروره التاريخي بالمستخلفين من عهد نوح وبالأمم التي بوركت والأمم التي كتب عليها العذاب، يلم بطرف من قصة إبراهيم، تتحقق فيه البركات، وفي الطريق إلى قصة لوط الذين مسهم العذاب الأليم، زفي قصتي إبراهيم ولوط هنا يتحقق وعد الله بطرفيه لنوح، وقد كانت البركات في إبراهيم وعقبه من ولديه: إسحاق، وأبنائه أبناء بني إسرائيل، وإسماعيل ومن نسله خاتم الأنبياء المرسلين[٦].

---

١ مثل: الزين، سميح عاطف الزين، قصص الأنبياء في القرآن الكريم، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة السادسة- ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٩٥-٣٠١.

٢ ينظر: الفخر الرازي، ٢٢/١٨

٣ سورة هود، آية: ١.

٤ ينظر: الثقفي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، تح: د.سعيد الفلاح، الجامعة الزيتونية للشريعة وأصول الدين، تونس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، د.ط، ١٤٠٨هـ، ص١٠٧-١١٠.

٥ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن،٤/ ١٨٤٠-١٨٤١.

٦ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ٤/ ١٩١١.

وقد كان مقصود السورة وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنذارة المقتضي ذلك لمنزله سبحانه وضع كل شيء في أتم محالة، وإنفاذه مهما أريد الموجب للقدرة على كل شيء[1]، وقد ناسبت أحداث هذه الجزئية مقصد السورة لكونها حلقة من حلقات البشارة.

في سورة الحج:

بعد الحديث عن الذين كفروا، ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، ويستنكر هذا الصد عن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس جميعا، يستوي في ذلك المقيمون به والطارئون عليه، وبهذه المناسبة يذكر طرفا من قصة بناء البيت وتكليف إبراهيم عليه السلام أن يقيمه على التوحيد، وأن يطهره من رجس الشرك، ويستطرد إلى بعض شعائر الحج، وما وراءها من استجاشة مشاعر التقوى في القلوب وهو الهدف المقصود، فيتحدث عن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام، وهم الذين كانوا يواجهون الدعوة الإسلامية في مكة، فيصدون الناس عنها، ويواجهون الرسول صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين فيمنعونهم من دخول المسجد الحرام، وبهذه المناسبة يتحدث عن الأساس الذي أقيم عليه ذلك المسجد يوم فوض الله إبراهيم عليه السلام في بنائه، والأذان في الناس بالحج إليه، ولقد كلف إبراهيم أن يبني هذا البيت على التوحيد، وأن ينفي عنه الشرك، وأن يجعله للناس جميعا، سواء المقيم فيه والطارئ عليه لا يمنع عنه أحد ولا يملكه أحد[2].

وقد ناسب مجيء موضع القصة في سورة الحج لما لها من علاقة في مقصود السورة، فمقصودها الحث على التقوى المعلية عن دركة الاستحقاق للحكم بالعدل، إلى درجة استئهال الإنعام بالفضل، في يوم الجمع للفصل، وأنسب ما فيها لذلك الحج، وهو ظاهر (بسم الله)، الذي اقتضت عظمته خضوع كل شيء[3].

بيان علاقة ما ورد من الاتفاق في السورتين في القصة وصلته بمقصود السورتين.

وبعد اطلاعي على قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، رأيت أن جزئيات القصة جاءت في حلقات، وأن الحلقة التالية في قصة الحج جاءت تالية للبشارة توافقاً مع ترتيب أحداث

---

١ ينظر: البقاعي، ٩/ ٢٢٤.

٢ قطب، سيد، في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٤٠٧، ٢٤١٧.

٣ البقاعي، ١/١٣.

القصة، ومرتبة ترتيبًا زمانيًا، وقد جاءت المواضع المختلفة السابقة متناسبة ومتوافقة مع مقصود السورة، وقد بينت ذلك من خلال الرجوع للمراجع، كذلك توافق الموضوعات حسب المكي والمدني، فهو قرآن متناسب في نظمة متناسق في مواضعة، وفي مجيئه المواضيع في المواضع المناسبة، فسبحان الخالق، فهو لاشك قرآن معجز، يعجز الخلق عن مجاراته، والإتيان بمثله، إنه كلام الخالق سبحانه، فآيه متناسبة منتظمة معجزة في موضوعاتها ومناسبتها فهو قرآن معجز في ترتيبه واتساقه، وسياقاته.

وبعد، فقد ظهر للباحثة من خلال هذا البحث أن القصتان بدأتا بالواو العاطفة في كل موضع، وقد ناسب هذا الابتداء العطف على السياق قبله، وقد جاء كل موضع من مواضع قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام- في السورتين مختصًا بما فيه وفق ترتيب أحداث القصة، فعلى سبيل المثال لا يفصح السياق القرآني المعجز في نظمه واتساقه وأسلوبه عن البشرى إلا في موعدها المناسب، وناسب أيضًا مجيء أحداث القصة في سورة الحج الأمر بتطهير البيت كونها مدنية؛ فالحج وما يتعلق به من الخصائص الموضوعية للسور المدنية، وناسب مجيء أحداث القصة في سورة هود بالبشارة كونها من السور المكية؛ فالحديث عن قصص الأنبياء وتكريمهم من خصائص السور المكية.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الماتعة في هذا البحث، ظهرت للباحثة مجموعة من النتائج، أهمها:

- أن الحديث عن قصص الأنبياء وتكريمهم من الخصائص الموضوعية للسور المكية، كما أن الحديث عن العبادات وما يتعلق بها من الخصائص الموضوعية للسور المدنية.
- أن كل موضع من مواضع قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام- في السورتين جاء مختصًا بما فيه وفق ترتيب أحداث القصة.
- أن بلاغة القرآن الكريم تتجلى في إعجازه وتحديه للعرب، فهو معجز في كل مواضعه.
- أن قصة إبراهيم عليه السلام توضح جوانب بلاغية وجمالية رائعة من خلال الأسلوب القرآني.
- أن قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم مجال رحب للدراسات البلاغية بما فيها الجمال الأسلوبي والموضوعي.
- أن السياق القرآني المعجز تظهر بلاغته في نظمه واتساقه وأسلوبه.
- أن مواضع الاتفاق والاختلاف في القصص القرآني حافز قوي وأرض خصبة للباحثين والدارسين.
- توصي الباحثة المختصين في مجال البلاغة والباحثين بالغوص في أعماق الإعجاز البلاغي وجمالياته من خلال القصص القرآني.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، د.ن، د.م، د.ت، د.ط، الجزء العاشر، والسادس عشر.
- أبو حيان، التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط وبهامشه تفسيران جليلان أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان، وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الإمام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبدالقادر بن أحمد بن مكتوم القيسي مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت.
- أبوالسعود، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، تصحيح: الشيخ حسن المسعودي، الحسينية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ -١٩٨٢م.
- أبي السعود، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبدالقادر أحمد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب السور، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.
- تشيتشرين ، آ.ف، الأفكار والأسلوب، ترجمة: د.حياة شرارة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م .
- الثقفي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، تح: د.سعيد الفلاح، الجامعة الزيتونية للشريعة وأصول الدين، تونس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، د.ط، ١٤٠٨هـ،
- جيرو،بيير، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.
- حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر بيروت،د.ط، د.ت.
- الحسناوي، محمد، الفاصلة في القرآن، دار عمار ، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ -٢٠٠٠م.
- الحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٥٥م، الجزء الثاني.

- الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٧٢م.
- الزين، سميح عاطف الزين، قصص الأنبياء في القرآن الكريم، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة السادسة ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
- الشايع، محمد بن عبدالله، المكي والمدني في القرآن الكريم، د.ن، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الشحات، محمد أبو ستيت، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، مطبعة الأمانة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩١م .
- عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- العجلان، سامي بن عبد العزيز، الوحدة السياقية في الدراسات القرآنية، في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، دراسة بلاغية في التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- عياد، شكري محمد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، د.ط، ١٩٨٥م.
- عياد، شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار المريخ، ط١، الرياض، ١٩٨٢م.
- الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، د.ت.